الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، يقول في كتابه [**القواعد الحِسَان المتعلقة بتفسيرِ القرآن**]:

القاعدة الثامنة:

طريقةُ القرآنِ في تقرير المَعاد:

وهذا الأصلُ الثالثُ مِنَ الأصولِ التي اتفقتْ عليها الرُّسلُ والشَّرائعُ كُلُّها: التوحيدُ، والرسالة، وأمرُ المعاد، وحشر العِباد، وهذا قدْ أكثرَ الله مِنْ ذِكْرِهِ في كتابِهِ، وقرَّرهُ بطرقٍ متنوعة؛ منها: إخبارُهُ وهو أصدقُ القائلينَ، ومع إكثارِ الله مِنْ ذِكرِهِ، فقدْ أقسمَ عليهِ في ثلاثة مواضعَ مِنْ كتابِهِ).

فهذه القاعدة الثامنة من [**القواعد الحِسَان بتفسير القرآن**] للإمام العلَّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهى في طريقة القرآن في تقرير المعاد، وبدأها بقوله: (**وهذا الأصلُ الثالثُ منَ الأصولِ التي اتفقتْ عليها الرُّسلُ والشّرائعُ كُلّها: التوحيدُ، والرسالة، وأمرُ المعاد وحشر العِباد**)؛ فهذه أصول ثلاثة متفقٌ عليها في نبوة جميع الأنبياء، ولا خلاف بين نبيٍّ وآخر في شيء منها، بل هي أصول متفقٌ عليها: (التوحيد والنبوات والمعاد)؛ الرسل كلهم متفقون على هذه الأصول الثلاثة.

وبيانها وتقريرها في كتاب الله جاء من طرقٍ كثيرة، وأساليب عديدة، وقد مرَّ معنا في قاعدةٍ مستقله: (بيان طريقة القرآن في تقرير التوحيد)، ومر معنا أيضًا في قاعدة مستقلة: (بيان طريقة القرآن لتقرير النبوة؛ نبوة نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ).

وهذه القاعدة في طريقة القرآن في تقرير المعاد، والرد على من أنكر ذلك، وزعم أنه لا بعث، ولا نشور، ولا حساب، ولا عقاب؛ فالقرآن قُرِّر فيه المعاد من طرقٍ كثيرة وبأساليب عديدة وببراهين متنوعة؛ براهين نقلية

أخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو أصدق القائلين بذلك، وبراهين حسية وبراهين عقلية وكل ذلكم سيأتي معنا فيما أشار له الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من طريقة القرآن في تقرير المعاد.

قال: (**وهذا قدْ أكثرَ الله مِنْ ذِكْرِهِ في كتابِهِ، وقرَّرهُ بطرقٍ متنوعة**). أكثر من ذكره؛ أي: المعاد، والقرآن مليء بالآيات التي فيها ذكر المعاد إجمالًا وتفصيلًا؛ فتجد آيات فيها ذكر البعث، ذكر اليوم الآخر، أيضًا ذُكر في القرآن أسماء كثيرة جدًا لليوم الآخر، وهي أسماءٌ وأوصاف مثل: اليوم الآخر، ويوم القيامة، ويوم البعث، ويوم التناد، ويوم التغابن، إلى غير ذلك من الأسماء، أسماء كثيرة ذُكرت لذلك اليوم وهي أعلامٌ وأوصاف.

أعلام تدل على مسمىً واحد ويومٍ واحد، وأوصاف؛ لأن كل اسم منها يدل على وصف معين لذلك اليوم.

وكثرة أسماء ذلك اليوم في القرآن وكذلك في السنة دليلٌ على كثرة أوصافه، وأيضًا ما يكون فيه من أحوال وأهوال وشدائد وأمور عظيمة فظيعة، ولهذا تعددت أسماء اليوم الآخر دالةً على عِظم شأن ذلك اليوم، وأنه يومٌ عظيم.

فالقرآن جاء فيه ذكر اليوم الآخر ذكرًا واسعًا ومتعددًا، وكما أشرت جاء ذكره إجمالًا، وجاء ذكره تفصيلًا؛ في القرآن آيات كثيرة تُفصل ما يكون في ذلك اليوم، بدئًا من إدراج الإنسان في قبره، ثم مرورًا بالبعث، والنشور، والقيام، والحشر، والميزان إلى غير ذلك؛ فهذه ذكرت تفصيلًا في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي سنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-.

وهذا هو معنى قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قدْ أكثرَ الله مِنْ ذِكْرِهِ في كتابِهِ، وقرَّرهُ بطرقٍ متنوعة**)؛ قرره أي قرر جَلَّ وَعَلَا المعاد، وبعث الناس، وقيامهم لرب العالمين بطرق متنوعة؛ أي تنوعت براهين القرآن ودلائله وحُججه وبيناته على قيام الناس لرب العالمين، ذُكر في القرآن براهين كثيرة.

والآن يبسط الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى طريقة القرآن في تقرير المعاد، وهذا نافع للمسلم تدبر هذا الموضع وفهمه نافع له من جهتين:

الجهة الأولى: معرفة الإنسان بالمعاد ودلائله وبراهينه؛ هذا زيادة إيمان، وتثبيتٌ لأصلٍ من أصول الإيمان، وركنٌ من أركان الدين؛ لأننا كما نعلم جميعًا أن الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان، وأصلٌ من أصوله، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٧٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٣٦]؛ فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، فكلما كان العبد أمكن في معرفة أدلة ذلك اليوم وبراهينه كان ذلك فيه قوةً في إيمانه، وتثبيتًا لهذا الأصل العظيم والأساس المتين، وإذا قوي إيمان العبد باليوم الآخر، وقويت براهينه عنده وحججه ومعرفته بهذا الأصل؛ كان لإيمانه بهذا اليوم أثره عليه في عبادته، وفى سلوكه، وفى معاملته، وفى أخلاقه.

ولهذا من يأتون يوم القيامة صحفهم باليمين يذكرون أن ذلك ثمرة إيمانهم بالله وباليوم الآخر: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [سورة الطور، من الآية:٢٦]؛ أي مشفقين من البعث، من الجزاء، من الحساب، من القيام بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [سورة الحاقة، من الآية:١٩-٢٠].

﴿ظَنَنتُ﴾؛ أي اعتقدت، فهذه العقيدة التي لازمت قلبه في الدنيا، وتمكنت في فؤاده جعلته يستعد لذلك اليوم، ويتهيأ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾؛ يعني اعتقدت عقيدةً جازمة، وإيمانًا راسخًا أنني سأبعث، وأنني سأقف بين يدي الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذًا هذا الإيمان بالبعث، واستحضاره في القلب؛ له أثره العظيم على العبد في عبادته، في أخلاقه، ولهذا تجد آيات كثيرة وأحاديث كثيرة يأتي ذكر اليوم الآخر في مقام الترغيب والترهيب: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، «**فليُكرم ضيفه**». فليفعل كذا، أحاديث كثيرة جدًا، «**لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مع غير ذي محرم**»، فيأتي ذكر الإيمان باليوم الآخر في مقام الوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، ذِكر الأعمال الصالحات والنواهي؛ كل ذلكم لأن إيمان العبد باليوم الآخر يسوقه إلى فعل الخيرات، واجتناب المحرمات والمنكرات. ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾.

وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ومنهم مصنف هذا الكتاب: إن الإيمان باليوم الآخر على درجتين، إيمان الناس باليوم الآخر على درجتين:

- إيمانٌ راسخ.

- وإيمانٌ مجزىء.

الإيمان الجازم هو الحد الذي لا يُقبل من الإنسان إيمان ولا يقبل منه عمل إلا إذا وُجد؛ هذا يُسمى إيمان جازم، يعني لا شك فيه ولا ريب، ولهذا يُطلب من كل مسلم أن يكون على إيمان جازمٍ بالبعث، والقيام بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وألَّا يكون عنده شكٌّ في ذلك، فإن وُجد شكٌّ أو ريب لم تُقبل صلاة ولا صيام ولا حج ولا أي عملٍ من الأعمال، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥]؛ فالكفر بالإيمان أو بشيء من أصول الإيمان محبطٌ للأعمال مبطلٌ لها.

فإذًا الإيمان الجازم هو حدٌّ لا بد أن يكون موجودًا في كل مسلم؛ فمن لم يكن فيه هذا الإيمان الجازم بالبعث لم ينتفع بأعماله، ولم يستفد من طاعاته؛ هذه الدرجة الأولى.

الثانية -وهي أعلى منها-: الإيمان الراسخ باليوم الآخر، والإيمان الراسخ يأتي من قوة البراهين التي يعلمها العبد، واستحضاره لحجج هذا اليوم وبيناته، وعنايته بهذا الأمر عنايةً كبيرة، واهتمامه به دراسةً وذكرًا واستحضارًا وفهمًا، وإذا وُجد في القلب الإيمان الراسخ باليوم الآخر تصلح أحوال العبد وتزين أعماله، وتطيب نفسه، وتقوى صلته بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ هذه الفائدة الأولى في معرفة حُجج وبراهين الإيمان باليوم الآخر: أن يقوى إيمان الشخص في نفسه.

أما الفائدة الثانية: فأن يكون ذلك -علم العبد به- يكون ذلك سلاحًا معه يرد به على المبطلين، ويُزهق به شبه الضالين ممن يثيرون بين وقتٍ وآخر شبهات كاسدة، وعقليات فاسدة يُنكرون بها بعث الأجساد، ويزعمون أنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب في تخرصاتٍ عقلية وظنونٍ باطلة يلبسون بها على الجهال، فإذا عرف العبد الحُجج والبراهين والدلائل النقلية والحسية والعقلية على ذلك اليوم يُصبح بيده سلاحٌ يقطع به حُجج المبطلين، وشبه الضالين، ويُزيح به رُكام الضلالات التي تنشر بين وقتٍ وآخر، فهذه الحجج التي يسوقها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هنا مفيدة للمسلم فائدة عظيمة من هاتين الجهتين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (**مِنْهَا**)؛ أي من طرق القرآن في تقرير البعث والجزاء والحساب. (**إخبارهُ وهو أصدقُ القائلينَ عنهُ**)؛ يعني إخباره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن هناك بعث هذا يكفي، والقرآن فيه آيات كثيرة جدًا يُخبر جَلَّ وَعَلَا وهو أصدق القائلين بأن هناك بعث وجزاء وحساب، وأنت تقرأ القرآن يمر عليك عشرات بل مئات الآيات التي تقرر ذلك؛ فهذا حُجة، وطريقة من طرائق القرآن في تقرير البعث إخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك؛ إخباره جَلَّ وَعَلَا بذلك.

قال: (**ومع إكثارِ الله مِنْ ذِكرِهِ**)؛ يعني من ذكر البعث. (**فقدْ أقسمَ عليهِ في ثلاثة مواضعَ مِنْ كتابِهِ**)؛ في ثلاث مواضع من القرآن أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أن هناك قيام، وأن هناك يومٌ آخر، وأن هناك بعثٌ وجزاء، وإذا طالعنا القرآن نجد الآيات التي فيها إقسام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على اليوم الآخر والبعث والجزاء أكثر من هذا العدد، الآيات التي فيها القسم بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقيم الناس، و أهناك يوم آخر، وأن هناك بعث وجزاء؛ الآيات في ذلك أكثر من هذا العدد، مثل ما جاء في أوائل الطور، وأوائل الذاريات، وأوائل القيامة، ومواضع عديدة من القرآن الكريم فيها قَسَم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ذلك اليوم.

وفي الذاريات لما بدأها جَلَّ وَعَلَا بإقسامه ببعض المخلوقات: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:١-٧]، إلى أن قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٢٣]؛ هذا قَسَم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالشاهد: أن القَسَم في القرآن على البعث واليوم الآخر تكرر.

وقول الشيخ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**في ثلاثة مواضعَ**)؛ كأنه -والله تعالى أعلم- يشير إلى فائدة نبه عليها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه [**التبيان لأقسام القرآن**] هو كتاب نافع جدًا، جمع فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ما يتعلق بالأقسام التي في القرآن، وفصَّل فيها تفصيلًا لا تكاد تجده في كتابٍ آخر.

فذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر نبيه في القرآن الكريم أن يُقسم على البعث في ثلاثة مواضع قال ابن القيم: (في ثلاثة مواضع لا رابع لها)، فالمراد بالثلاثة المواضع التي يشير لها الشيخ؛ أي المواضع التي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُقسم على البعث، وهي:

- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [سورة التغابن، من الآية:٧].
- والموضع الثاني قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ﴾ [سورة يونس، من الآية:٥٣].
- والموضع الثالث في أوائل سورة سبأ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [سورة سبأ، من الآية:٣].

فهذه مواضع ثلاثة من القرآن الكريم أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُقسم على البعث في رده على المنكرين له الذين يزعمون أن لا بعث، الذين يستنبئون أن هناك بعثٌ، الذين يدعون أنه لا بعث يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه في هذه الآيات الثلاث يقول ابن القيم: (لا رابع لها)، يأمره جَلَّ وَعَلَا فيها أن يُقسم على ذلك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي﴾، ﴿إِي وَرَبِّي﴾؛ كل ذلكم قسم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على البعث والجزاء.

أما الآيات التي يُقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها على البعث وعلى الجزاء وعلى اليوم الآخر فهي أكثر من هذا العدد.

فإذًا لعل مراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى بقوله: **(فقدْ أقسمَ عليهِ في ثلاثة مواضعَ مِنْ كتابِهِ)**؛ أي أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يُقسم عليه.

وبمناسبة الآية وهي في سورة الذاريات قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٢٣].

أروي لكم قصةً مفيدة، وقد ذكرها ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وغيره من أهل العلم عن الجاحظ، وهو رجلٌ معروفٌ بالرحلة والتجوال؛ ففي بعض رحلاته يقول: رأيت أعرابيًا جلف، ومعنى جلف يعني فظ وغليظ، فيه فظاظة وفيه غلظة، يقول: رأيت أعرابيًا جلف على بعير، فسلَّمت عليه فقال لي: ممن الرجل؟ - عفوًا ليس الجاحظ؛ الأصمعي- قلت: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصمعي، قال: لعلك الأصمعي، يعني مشهور كان في زمانه، قلت: أنا هو، قال: من أين جئت؟ -الأعرابي يسأله- يسأل الأصمعي، قال: من أين جئت؟ قال: جئت من بلدٍ يُتلى فيه كلام الرحمن، فقال الأعرابي: أَوَ للرحمن كلامٌ يتلوه الآدميون، -أول مرة يسمع بهذا؟!- أَوَ للرحمن كلامٌ يتلوه الآدميون، أول مرة يسمع أن هناك كلام لله يُتلى!، ما سمع بذلك قبل، قلت: نعم، قال: أسمعني شيئًا من كلام الرحمن، قلت: أنزل من بعيرك، الرجل فوق البعير ويتحدث معه وهو على الأرض، قلت له: أنزل من بعيرك، فنزل، يقول: فبدأت أقرأ عليه من سورة الذاريات حتى وصلت إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٢٢]، يقول: فلما قرأت هذه الآية قال: أَوَ هذا كلام الرحمن؟! قلت: إي والله، هذا كلام الرحمن، قال: أمسك بعيري، يقول: فمسكته فنحره، ثم قال لي: ساعدني في تفريق لحمه، يقول: وأخذ يفرق لحمه على الناس وعلى المحتاجين ثم ودَّعني وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾؛ فعجبتُ أن هذا الرجل فهم من الآية وجاءه من اليقين بهذه الآية شيءٌ لم يكن

عندي، فحصل عنده قوة يقين بالله لما قرأ الآية: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾؛ فنحر بعيره الذي يركبه وهو ضامن أن رزقه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومضى وهو يتلو الآية: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

يقول: ثم لقيته بعد سنتين عند البيت -عند الكعبة- فعرفته وعرفني، فقال لي: ﴿قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٤٤]؛ حصَّل خيرًا من يقينه وثقته بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقوة توكله على الله، ثم قال لي: اقرأ علي من كلام الرحمن، يقول: فقرأت عليه من سورة الذاريات حتى وصلت إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾؛ فقال: سبحان الله! ومن الذي أغضب الجليل وألجئه إلى اليمين؟!، يعني: لو أخبرنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دون أن يُقسم نحن نصدقه، من الذي أغضبه حتى جعله يُقسم على ذلك؟!، نحن نصدق ربنا بدون أن يُقسم، من الذي أغضبه وألجئه إلى اليمين؟!.

فهذا من الإيمان وقوة الإيمان الذي يسوقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعبده، أحيانًا العبد يسمع الآية ويكون يسمعها لأول مرة؛ فيلقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قلبه من فقهها وتحقيق الإيمان بها ورسوخ ذلك ما قد لا يكون بعضه عند من علمه هذه الآية، أو ذكر له هذه الآية، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٢١].

الشاهد: أن في القرآن الكريم آياتٌ فيها إقسام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على البعث، وجاءت في مواضع من كتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشيخ قبل هذا في أول هذه القاعدة، ذكر التوحيد، وذكر الرسالة، وذكر أمر المعاد؛ وهذه الأمور الثلاثة كلها وهي أعظم شيء في القرآن كلها أقسم الله عليها في القرآن، أقسم على التوحيد، وأقسم على النبوات، وأقسم على المعاد:

- أما قسمه على المعاد مر معنا.
- وقسمه على التوحيد في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١-٥]؛ فهذا قسم على التوحيد.
- وفي أول يس قسم على النبوة: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [سورة يس، من الآية:١-٣].

فهذه الأصول الثلاثة المتفق عليها بين شرائع الأنبياء، أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها في القرآن، أقسم على التوحيد في أول الصافات، وأقسم على النبوات أو نبوة نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أول يس، وأقسم على المعاد في أول الطور وأول الذاريات والقيامة وغيرها من آي القرآن الحكيم.

القارئ:

(ومنها الإخبارُ بكمالِ قدرة الله تعالى، ونفوذِ مشيئتِهِ، وأنَّهُ لا يُعْجزهُ شيء؛ فإعادةُ العباد بعدَ موتهم فردٌ مِنْ أفرادِ آثارِ قدرتِهِ).

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا النوع الثاني من أنواع أدلة القرآن وطريقة القرآن في تقرير المعاد: تقرير المعاد بذكر قدرة الله، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيءٍ قدير، فالإيمان بالقدرة وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيءٍ قدير كافٍ في إثبات المعاد.

ولهذا يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القدرة في مواضع كثيرة من القرآن في سياق تقرير المعاد، مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة الحج، من الآية:٥-٧]؛ فيأتي ذكر القدرة -وسيمر معنا أمثلة أخرى عديدة قريبًا- يأتي ذكر قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق إثبات المعاد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القدير على كل شيءٍ، الذي لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء من أفراد قدرته أن يبعث هذه الأجساد، أوجدها من العدم، وخلقها بعد أن لم تكن، وهو جَلَّ وَعَلَا قادر على أن يبعث هذه الأجساد بعد موتها، وأن ينشرها بعد البلى، وهو جَلَّ وَعَلَا على كل شيءٍ قدير؛ فهذا نوعٌ أو طريقة من طرق القرآن في تقرير المعاد، وسيأتي أيضًا إشارة إلى بعض الأدلة على ذلك.

القارئ:

(ومنها تذكيرهُ العبادَ بالنشأة الأولى، وأنَّ الذي أوجدهم ولمْ يكونوا شيئًا مذكورًا؛ لا بدَّ أنْ يعيدهم كما بدأهم، وأعادَ هذا المعنى في مواضعَ كثيرةٍ بأساليبَ متنوعة).

ثم ذكر هذه الطريقة وهي: (**تذكيرُهُ العبادَ بالنشأة الأولى**)؛ تذكيره جَلَّوَعَلَا العباد بالنشأة الأولى؛ فهذه طريقة من طرق القرآن في تقرير المعاد والبعث، يذكِّر الله جَلَّوَعَلَا في مواضع من القرآن الكريم بالنشأة الأولى وخلق الإنسان بعد أن لم يكن. ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:١-٣]؛ فتذكير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالنشأة الأولى هذه طريقة من طرق القرآن. ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:١٠٤]؛ كما أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أوجد الإنسان من العدم قادرٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على أن ينشره وأن ينشئه وأن يعيده بعد أن يموت، فهذه من طرق القرآن في تقرير المعاد.

ولنقرأ هذه الطريقة في الآيات التي ختم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بها أواخر سورة يس، وهذه الآيات نقف معها وقفة؛ لأن فيها أنواع كثيرة من الأدلة على البعث، والقيام بين يدي رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ولنتأمل! ومن كان قريبًا منه مصحف يتبع معنا، يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [سورة يس، من الآية:٧٧-٧٨]؛ فهنا المراد بالإنسان منكر البعث، المراد بالإنسان هنا منكر البعث الذي يزعم أن لا بعث، ولا قيام بين يدي رب العالمين ولا جزاء ولا حساب، فيقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾؛ وهنا يأتي العجب الذي هو في غاية العجب من حال هذا الإنسان، خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من نُطفة من ماءٍ مهين وهو يعلم ذلك، ولما يُسأل أي إنسان: يقال: ما أصلك؟ يقول: أصلي نطفة من ماءٍ مهين، ثم بدأت هذه النطفة بقدرة رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَى تتحول من طورٍ إلى طور في أطوارٍ سبعة: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظام، ثم تُكسى العظام لحمًا، ثم يخرج إنسانًا سويًا، فينشأ في أطوار، وهذه الأطوار كلها بقدرة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ثم إذا كبر وترعرع وأصبح له لسان؛ فإذا به خصيمٌ مبين، يُنازع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في أقداره، يُنازع الله جَلَّوَعَلَا في أقداره، هذا من أعجب ما يكون في حال الإنسان!، يخلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في هذه الأحوال وفي هذه الأطوار ويوجده في هذه النشأة؛ ثم إذا أصبح له لسان، ونطق، وكلام؛ يُخاصم ويُجادل ويتطاول على مقام رب العالمين، وقدرة الخالق العظيم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ماذا يقول؟ قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾؛ هذا من العجب!، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾؛ يعني نسي خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأول وإنشاؤه له من العدم، وإلا لو ذكر خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له لما جاء على لسانه مثل هذا الكلام الباطل.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾؛ ما هو المثل؟ ذكره الله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؛ شك في البعث، وإنكار لقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؛ والمثل المضروب هنا: أن هذا الإنسان الكافر المنكر للبعث قاس قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقدرة المخلوقات، ولهذا استبعد واستحال أن تُبعث هذه الأجساد بعد أن أصبحت رميمًا، وقال ذلك بناءً على قياسٍ لقدرة الخالق الجليل على المخلوق العاجز.

ولهذا قال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؛ فبدأ جَلَّ وَعَلَا يذكر البراهين، وتابعوا تأمل هذه البراهين وهي ستة براهين ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا السياق المبارك في الرد على من يُنكر البعث، ويدَّعي أنه ليس هناك بعثٌ ولا نشور.

فذكر جَلَّ وَعَلَا **البرهان الأول**: قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة يس، من الآية:٧٩]؛ هذا البرهان الأول في الرد على من ينكر البعث، يقال له: الذي يبعث الأجساد بعد البلى هو الذي أوجدها بعد أن لم تكن. ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:١٠٤]؛ مثل ما أنه خلقهم من العدم يوجدهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد البلى؛ فهذا الدليل والبرهان الأول. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة يس، من الآية:٧٩].

البرهان الثاني: قال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس، من الآية:٧٩]؛ فهذا برهانٌ ثانٍ على البعث، وهو علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمخلوقات كلها، والكائنات جميعها، وهو جَلَّ وَعَلَا عالمٌ بها أينما كانت، وإلى أي مصيرٍ صارت، وهذه الأجساد إذا بليت وتنوع فيها البلى؛ منها ما أكله التراب، ومنها ما أكله السباع وتحول إلى بعرًا، ومنها ما أحرقته النار وتحول إلى رماد، ومنها، ومنها، ومنها، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليمٌ بكل ذلك، عليمٌ بكل المخلوقات؛ فهو جَلَّ وَعَلَا أحاط علمًا بالكائنات، ويقول جَلَّ وَعَلَا في آيةٍ أخرى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك، من الآية:١٤]؛ فهذا برهانٌ ثاني: علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المحيط الواسع بكل الكائنات؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة.

ولهذا جاء ذكر العلم في مواضع كثيرة في تقرير البعث، منها الآية التي في أول سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ

أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة سبأ، من الآية:٣]؛ فعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا من براهين البعث، علمه المحيط الشامل الواسع بكل شيء هذا من براهين البعث ودلائله. هذا البرهان الثاني: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾.

البرهان الثالث: قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [سورة يس، من الآية:٨٠]؛ هذا برهان على البعث محسوس يراه الناس، النار وهي جُرم يابس، ومن كمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن هذا الجرم اليابس يتقد ويشتغل من جُرمٍ رطب وهو الشجر الأخضر، فالشجر الأخضر يُخرج منه الله جَلَّ وَعَلَا نارًا يابسة، فهذا دليل وبرهان محسوس على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على بعث الأجساد، النار تشتعل رأي العين من شجرةٍ خضراء رطبة، ويخرج منها هذا الجُرم اليابس المتقد المشتعل.

ويوم القيامة يحصل أمرٌ أيضًا في غاية العجب! وهو عكس هذا، ألا وهو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُنبت جَلَّ وَعَلَا -وهذا من دليل كمال قدرته- يُنبت شجرةً في أصل الجحيم، يعني تنبت في وسط النار. وتنمو في وسط النار. ﴿تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [سورة الصافات، من الآية:٦٤-٦٥]؛ هذه أيضًا من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن البراهين على كمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾؛ هذا البرهان الثالث.

البرهان الرابع: قال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم﴾ [سورة يس، من الآية:٨١]؛ هذا برهان رابع على البعث، وهو خلق السموات والأرض، ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة غافر، من الآية:٥٧]؛ فهذا برهانٌ رابع على البعث، وهو خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للسموات والأرض، ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم﴾.

البرهان الخامس: قال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة يس، من الآية:٨١]؛ كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلَّاقًا -وهي صيغة مبالغة- أي لكل شيء، موجدًا لكل الكائنات هذا دليلٌ على البعث، خلقه لكل شيء وإيجاده لكل كائن هذا دليلٌ على قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على بعث الأجساد، ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة يس، من الآية:٨١-٨٣].

وهذا هو البرهان السادس: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ فهذا البرهان السادس على البعث: وهو أن الله بيده ملكوت كل شيء، كل شيء ملكٌ لله، وتحت تصرفه وتدبيره، له الحكم الكوني القدري، وله الحكم الشرعي الديني، وله الحكم الجزائي.

فهذه ستة براهين اجتمعت في هذا السياق في الرد على من أنكر البعث وقال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾؛ فجاء هذا السياق المبارك في إبطال ذلك بذكر هذه الأنواع من الدلائل والبراهين، وتجدون هذه الدلائل مفصلةً تفصيلًا جميلًا نافعًا في تفسير الشيخ عبد الرحمن بن السعدي وهو تفسيرٌ عظيم، ننصح كل مسلم بقراءته والاستفادة منه، ففي تفسيره لهذه الآيات من سورة يس بيَّن هذه الحجج حُجة حُجة، وشرحها شرحًا نافعًا مفيدًا لطالب العلم.

قال: **(تذكيرهُ العبادَ بالنشأة الأولى، وأنَّ الذي أوجدهم ولمْ يكونوا شيئًا مذكورًا، لا بدَّ أنْ يعيدهم كما بدأهم، وأعادَ هذا المعنى في مواضعَ كثيرةٍ بأساليبَ متنوعة).**

(ومنها: إحياؤهُ الأرضَ الهامدة الميِّتة بعدَ موتها، وأنَّ الذي أحياها سيحي الموتى، وقرَّر ذلكَ بقدرتهِ على ما هو أكبرُ مِنْ ذلك، وهو خلقُ السماواتِ والأرض، والمخلوقاتِ العظيمة، فمتى أثبتَ المُنكِرون لذلك، ولنْ يقدروا على إنْكارهِ، فلأيِّ شيءٍ يستبعدونَ إحياءَه الموتى؟).

هنا برهانان -الأولى تكون كتابته مفصولة في فقرة جديدة-:

البرهان الأول: (إحياؤهُ الأرضَ الهامدة الميِّتة بعدَ موتها، وأنَّ الذي أحياها سيحي الموتى).

ثم ذكر برهانًا آخر قال: **(وقرَّر ذلكَ بقدرتهِ على ما هو أكبرُ مِنْ ذلك).**

أولًا: (إحياؤهُ الأرضَ الهامدة الميِّتة بعدَ موتها، وأنَّ الذي أحياها سيحي الموتى)؛ هذا من براهين البعث، وجاء في مواضع من القرآن؛ منها الموضع الذي أشرت إليه قبل قليل في سورة الحج، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [سورة الحج، من الآية:٥-٧]؛

فهذا برهان يرى الإنسان أرض ميتة لا نبات فيها ولا شجر، ويُنزل تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليها الماء فماذا يكون؟ تهتز وتتحرك وتربو وتنبت من كل زوجٍ بهيج، فهذا من براهين البعث.

وفي آيةٍ أخرى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٣٩]؛ وهنا -يا إخوان- ينبغي أن نلاحظ أمرًا! ألا وهو أن ثمة وجه شبهٍ بين إحياء الأرض الميتة بالماء، وبين بعث الناس من القبور وهو أيضًا بالماء، في وجه شبه؛ كما أن الأرض الميتة يُنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليها الماء، وعلى إثر نزول الماء تهتز وتربو وتُنبت من كل زوجٍ بهيج فكذلك شأن البعث يوم القيامة، إذا أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعث الأجساد كما جاء ذلك في الصحيحين وفي غيرهما، يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السماء أن تُنزل ماءً؛ فينزل الماء تمطر، ثم على إثر هذا الماء ينبت الناس، ونباتهم وخروجهم من أصل الإنسان الذي لا يبلى وهو عجب الذنب، وهو قطعة صغيرة في أسفل ظهر الإنسان تبقى لا تبلى كل شيء منه يبلى إلا هي، فمن هذه القطعة الصغيرة ينبت، مثل ما أنَّ الزرع والشجر ينبت من قطعةٍ صغيرةٍ جامدة هامدة، فأيضًا الإنسان ينبت يوم القيامة إذا أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنشره وبعثه ينبت من قطعةً صغيرة، ينزل الماء على الأرض وتروى الأرض بالماء ثم ينبت الإنسان ويخرج؛ ففيه وجه شبه بين البعث وبين نبات الأرض بنزول الماء. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ فإذًا هناك وجه شبه. هذا برهان من براهين البعث وهو برهانٌ حسي مُشاهد يراه الناس.

برهانٌ آخر: قال: (**وقرَّر ذلكَ بقدرتهِ على ما هو أكبرُ مِنْ ذلك، وهو خلقُ السماواتِ والأرض، والمخلوقاتِ العظيمة، فمتى أثبتَ المُنكِرون لذلك، ولنْ يقدروا على إنْكارهِ، فلأيِّ شيءٍ يستبعدونَ إحياءَ الموتى؟**)؛ مع أن خلق السموات أكبر، فإذًا هذا من البراهين على البعث، ومر معنا قريبًا في سورة يس: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [سورة يس، من الآية:٨١]، وأيضًا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة غافر، من الآية:٥٧]، وفي أواخر سورة الأحقاف أيضًا قرر هذا الدليل تقريرًا واضحًا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:٣٣]؛ فهذا برهان، هذا برهان قرر فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى البعث، وهو قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على

خلق السموات والأرض، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾. ﴿وَلَمْ يَعْيَ﴾؛ أي: لم يصبه تعبٌ، مثل قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [سورة ق، من الآية:٣٨]، ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾؛ أي: لم يصبه تعبٌ أو نصبٌ بخلقه للسموات، ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؛ فهذا برهانٌ من براهين البعث ودلائله.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فمتى أثبتَ المُنكِرون لذلك، ولنْ يقدروا على إنْكارِهِ**)؛ لن يقدروا على إنكار أن الله هو الذي خلق السموات وخلق الأرض وخلق الجبال لا يقدرون على إنكار ذلك. (**فلأيِّ شيءٍ يستبعدونَ إحياءَ الموتى؟**)؛ مع أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس؛ فهذا برهان آخر من براهين البعث.

(وقرَّرَ ذلكَ بِسَعةِ علمِهِ، وكمالِ حِكْمتِهِ، وأنَّهُ لا يليقُ بِهِ، ولا يَحسُن أنْ يتركَ خلقهُ سدىً مُهْملين، لا يُؤمرون ولا ينهوْن، ولا يُثابون ولا يُعاقبون. وهذا طريقٌ قرَّرَ بِهِ النبوَّة وأمرَ المَعاد).

وهذه الطريقة مر معنا شيء من الأمثلة لها في الآيات الماضية، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس، من الآية:٧٩]، وأيضًا الآيات التي في أوائل سورة سبأ، وأيضًا الآيات التي ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [سورة القيامة، من الآية:٣٦-٤٠]؛ بلى، فهذا من البراهين ذكر حكمة الله، وكمال عِلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه لا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يترك الخلق سدى مهملين، لا يؤمرون ولا يُنهون.

والذي يُنكر البعث هو بإنكاره للبعث يطعن في حكمة الله؛ لأنه لا يليق بحكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يكون الناس على قسمين؛ قسمٌ صالح يحب الخير، يساعد الناس، يعبد الله، يقوم بالبر، يجتنب المنكرات، وآخر ظالم وباغي وعاتي يعتدي على الناس في الدماء، وعليهم في الأموال، وعليهم في الأعراض، ويعتدي أيضًا على حقوق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتطاول على الله وعلى عباده، ويظلم، ويبغي إلى آخره، ثم يموت هذا ويموت هذا، هل من حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن تكون هذه النهاية؟!

هل تكون حكمة الله أن تكون هذه النهاية؟ هذا يموت وينتهي، وهذا يموت وينتهي؟ لا، هذا يُبعث ويُجازى أحسن الجزاء ويُثاب أعظم الثواب على بره وإحسانه وصلاحه، وذاك يُبعث و يعاقب على ظلمه وبغيه وعدوانه؛ فلا يليق بحكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يترك الناس سدى.

قيل في معنى سدى: أي لا يُؤمرون ولا يُنهون، وقيل في معنى سدى: أي لا يُبعثون؛ هذا لا يليق بحكمة الله، لا يليق بحكمته أن لا يأمر ولا ينهى، يخلقهم سدى دون أن يأمروا ودون أن ينهوا، وأيضًا لا يليق بحكمته أن يتركهم سدى، لا يُبعثون.

ولهذا يوم القيامة إذا دخل أهل النار النار يُذكر لهم هذا الأمر تعيينًا وهو طعنهم في حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وادعائهم أن هناك لا بعث، واقرؤوا ذلك في أواخر سورة المؤمنون، لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القيامة، ونفخ الصور، وقيام الناس لرب العالمين، وأنهم فريقين: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١٠١-١١١]؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

قال: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١١٢]؛ والخطاب موجَّه لهؤلاء المنكرين للبعث، المنكرين للجزاء للحساب، ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١١٢-١١٥]؛ هذه كلمة تقال لهم في النار، هذه كلمة تقال لهؤلاء وهم في النار يذوقون عذابها ويصلون حرها، يقال لهم في النار: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية:١١٥-١١٨]؛ فهذه كلمة تقال لهم يوم القيامة:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾؛ الذي يدعي أنه لا بعث هذا يُنكر حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه لا يليق بأحكم الحاكمين أن يترك الخلق هكذا سدى، وأن يتركهم باطلًا، وأن يتركهم هملًا، هؤلاء يطيعون وهؤلاء يعصون ثم تكون النتيجة كلهم يموتون وينتهي الأمر؟! هذا لا يليق بحكمة أحكم الحاكمين.

ولهذا من طرائق تقرير البعث والمعاد إثبات الحكمة؛ حكمة الله وعلمه الشامل وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يذكرنا بفائدة وهي: أثر معرفة أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته على العبد في صلاح عقيدته وعمله وسلوكه. ولهذا الشيخ قال: **(وهذا طريقٌ قرَّرَ بهِ النبوَّة وأمرَ المَعاد)**؛ لأن هذا باب واسع وهو معرفة أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته وحكمته جَلَّ وَعَلَا.

(وممَّا قرَّر بهِ البعث ومجازاةَ المحسنينَ بإحسانهم، والمسيئينَ بإساءتهم: ما أخبرَ بهِ مِنْ أيامهِ في الأممِ الماضين، والقرون الغابرة.

وكيف نجى الأنبياءَ وأتباعهم، وأهلكَ المكذِّبين لهم المنكرينَ للبعث، ونوَّعَ عليهم العقوبات، وأحلَّ بهم المَثُلات، فهذا جزاءٌ مُعجَّل ونموذجٌ مِنْ جزاءِ الآخرة أراهُ الله عباده، ليهلكَ مَنْ هلكَ عن بيِّنة، ويحي مَنْ حيَّ عن بيِّنة).

هذا أيضًا برهان وطريقة من طرائق وطرق القرآن في تقرير البعث ألا وهي المجازاة؛ مجازاة المحسنين بالإحسان والمسيئين بالإساءة في شيء رآه الناس وشاهدوه وعلموه في الدنيا، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود، من الآية:١٠٢]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوَّع في الدنيا عقوباته للظالمين، منهم من خسف به الأرض، ومنهم من أغرقه، ومنهم من أهلكهم بالصاعقة، ومنهم من أهلكه بأنواع العقوبات والمثلات، فتنوعت العقوبات في الدنيا لأهل الظلم والبغي والعدوان، ورأوا الناس من ذلك شيئًا كثيرًا، ولا يزالون يشاهدون، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُملي للظالم ولا يُهمله، وإذا أخذه أخذه بغتة، فهذا من البراهين.

وأيضًا من البراهين تأييده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأوليائه، ونصره لهم، وتوفيقه لهم، وعونه وتسديده؛ هذا كله من البراهين والدلائل، وهذا جاء في القرآن كثيرًا، ونأخذ مثالًا واحدًا على ذلك لكي لا نطيل، قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الرعد، قال: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ [سورة الرعد، من الآية:٥-٦]، ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾؛ يعني في الأمم السابقة هذا برهان حي وبرهان ظاهر، العقوبات التي أحلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأمم السابقة كافية في هؤلاء ألَّا يستعجلوا عقوبةً لهم، يكفيهم عبرةً أن يروا الأولين والسابقين، وأن يعتبروا بالأمم السالفين، وكما يقال: السعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره، فهذا من البراهين إشارة الله عَزَّوَجَلَّ وذكره للمثلات والعقوبات السابقة وما أحلها الله عَزَّوَجَلَّ بالظلمة والعتاة والبغاة؛ هذا من براهين البعث ودلائله.

(ومِنْ ذلكَ: ما أرى الله عبادهُ من إحيائهِ الأموات في الدنيا كما ذكرهُ الله عن صاحب البقرة، والألوف مِنْ بني إسرائيل، والذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُروشِها، وقصَّة إبراهيم الخليل والطُّيور، وإحياءِ عيسى ابن مريم للأموات، وغيرها ممَّا أراهُ الله عبادَهُ في هذه الدار؛ ليعلموا أنَّهُ قويٌّ ذو اقتدار، وأنَّ العبادَ لا بدَّ أنْ يَرِدوا دارَ القرار، إمَّا الجنة أو النار. وهذه المعاني أبداها الله وأعادها في محالَّ كثيرة. والله أعلم).

هذا البرهان الأخير من البراهين على البعث، وهو برهانٌ حسي في أمورٍ مشاهدة ووقائع رآها الناس وعاينوها وشاهدوها دالة على البعث، ألا وهي إحياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأُناسٍ ماتوا، وفارقوا الحياة، أحياهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن أماتهم، فهذا برهان حسي وشاهد على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على البعث، والشيخ أشار إلى بعض الأمثلة على ذلك قال: (**ومِنْ ذلكَ: ما أرى الله عبادهُ من إحيائهِ الأموات في الدنيا كما ذكرهُ الله عن صاحب البقرة، والألوف مِنْ بني إسرائيل، والذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُروشِها، وقصَّة إبراهيم**)؛ هذه كم؟ قال:

- (**عن صاحب البقرة**)؛ هذا واحد.

- **(والألوف مِنْ بني إسرائيل)**.
- **(والذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُروشِها)**.
- **(وقصَّة إبراهيم الخليل والطيور)**؛ هذه كم؟ أربعة. أعيدها مرة ثانية:

الأول: (صاحب البقرة).

الثاني: (الألوف مِنْ بني إسرائيل).

الثالث: (الذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُروشِها).

الرابع: (قصَّة إبراهيم).

الخامسة: إحياء عيسى -هذه سنأتي إليها-.

هذه أربعة كلها ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة، كلها ذكرت في سورة البقرة وهي براهين محسوسة على البعث، وفي البقرة أيضًا برهان خامس من هذا القبيل، فاجتمع في سورة البقرة خمسة براهين محسوسة على البعث:

الأول من هذه البراهين: ما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٧٢-٧٣]؛ فهذا برهان.

برهان محسوس وهو آية، وقوله: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾؛ في قصة كانت بين بني إسرائيل قتل رجلٌ رجلًا وألقاه عند بيتٍ آخر، واختلفوا من القاتل؟ وصار بينهم خصومة وتطاحن، واشتد الأمر، فقال لهم بعضهم: لماذا هذا التطاحن وعندكم موسى رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، لماذا لا تسألونه؟ فسألوه، فلما جاءوا وسألوه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [سورة البقرة، من الآية:٦٧]؛ قال: الله يأمركم أن تتخذوا بقرة، أن تذبحوا بقرة، يعني من خلال ذبح البقرة سيظهر، فقالوا: أنت تسخر بنا. ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؛ ثم شددوا على أمرهم قالوا: بين لنا لونها، بين لنا كذا، بين لنا كذا، إلى أن قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾؛ يعني خذوا جزءًا من هذه البقرة التي ذبحتموها واضربوا بها هذا

الميت، فضربوه، أخذوا جزءًا من البقرة وضربوا به الميت فقام، وقال: هذا الذي قتلني، ثم رجع ومات، ثم قام وقال: هذا الذي قتلني ثم رجع ومات، ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ﴾؛ يعني هذه القصة التي رأيتم. ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؛ هذه الآية التي رأوها هؤلاء وشاهدوها عيانًا بيانًا أمامهم حُجة ظاهرة، تحي القلب الميت ماذا صار لهم على إثرها: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ [سورة البقرة، من الآية:٧٤]؛ لا إله إلا الله، يعني آية عظيمة عجيبة رأوها عيانًا بيانًا رجل أمامهم ميت قام وقال: هذا الذي قتلني ثم مات، قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؛ ما الذي حدث بعد ذلك منهم: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾؛ نسأل الله العافية والسلامة. هذا واحد.

الثاني: قصة الألوف من بني إسرائيل، وهذه أيضًا ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٞ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٤٣]. ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾؛ يعني خرجوا من بلدانهم، قيل: أصيب بلدانهم بوباء طاعون وأمراض وأسقام فخرجوا فرارًا من الموت، فارين من الموت، فأراهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آية: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾؛ فماتوا أجمعين، لم يبقى فيهم نفسٌ تنفس، ماتوا أجمعين، قيل: أربعة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: أربعين ألف، اختلف في عددهم، الله أعلم بعددهم، ماتوا أجمعين. ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾؛ ماتوا ثم عادوا للحياة مرةً ثانية؛ هذا فضل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على هؤلاء باب من أبواب الشكر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾؛ فهذا برهانٌ ثانٍ على البعث ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة البقرة.

البرهان الثالث: قصة بني إسرائيل: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٥٥-٥٦]، قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾؛ فأنزل الله عليهم صاعقة أماتتهم، ثم أحياهم جَلَّ وَعَلَا، لعلهم يشكرون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهذا برهانٌ ثالث حسي على البعث ذُكر في سورة البقرة.

البرهان الرابع: قصة صاحب القرية، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٩]؛ وهو معطوفٌ على قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٨]؛ هذه الآية فيها برهانان على البعث.

بعدها قال: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

والصحيح أن هذا الرجل عنده شك في البعث، ليس نبي ولا صالح وإنما رجل عنده شك في البعث، وفي الآية ثلاثة براهين على ذلك.

الأول: هذا، قال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ ما الذي حصل؟ ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾؛ مائة عام كاملة ميت. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾؛ وكان كما ذُكر في بعض التفاسير: أماته الله في أول النهار، في بداية النهار، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾؛ الشمس أوشكت على المغيب أو آخر اليوم فقال: يوم أو بعض يوم؛ لأن يذكر نفسه عندما غاب عن الدنيا في أول النهار واستيقظ في آخر النهار قال: يوم أو بعض يوم. قال: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾؛ لم يتغير، قيل: كان معه فاكهة ومعه عصير وبقيت على حالها لم تتغير، العصير لم يصبه تغيير، والفاكهة والطعام الذي معه على حاله ما تغير بدون حافظات وبدون أي شيء مائة سنة باقية على حالها لم يصبه أي تغيير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾. ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾؛ وهنا جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرى آية بعينه: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾؛ حماره كان ميتًا متقطعًا متبعثرًا، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾؛ أراه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إياها. ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾؛ أي كيف نرفعها ونجمع بعضها إلى بعض، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾؛ قراءة أي كيف نبعثها، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾؛ وكان يرى هذا التخليق أمامه، العظام تجتمع، واللحم يجتمع، والأمور تلتئم، إلى أن قام الحمار حيًّا مخلوقًا أمامه رأى ذلك، أراه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك. ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾؛ هذا من دليل أنه كان غير متبين له، شاك، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ رأى شاهد بيِّن على ذلك، أمامه حسًّا.

الدليل أو الشاهد الخامس: في سورة البقرة قصة إبراهيم في الآية التي تلي هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٦٠]؛ وإبراهيم لا شك عنده، إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا شك عنده ولا ريب، ولكنه أراد أن يتحول إلى زيادة إيمان من حق اليقين إلى عين اليقين، هو عنده حق اليقين موقن بأنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحيي الموتى، لكنه أراد أن يصل إلى درجة عين اليقين، يرى ذلك بعينه لا عن شك وإنما عن زيادة إيمان.

ولهذا قال غير واحد من المفسرين: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾؛ أي ليزدد إيماني، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾؛ اجمعهن إليك. ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾؛ يعني قطع هذه الطيور قطعًا قطعًا واخلطها ببعض امزجها ببعض ثم اذهب إلى أربعة جبال حولك أقل أو أكثر واجعل على كل جبل منهن جزءًا، خذ مجموعة من هذه الأشلاء والقطع واجعل على هذا الجبل جزء، وعلى هذا الجبل جزء، وعلى هذا الجبل جزء، والآخر جزء، قطع ريش ودم وعظام وكلها مختلطة ممزوجة ببعض، ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾؛ ادع هذه الطيور وهي على هذه الحال وهي مفرقة. ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾؛ ورأى ذلك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عيانا جاءت هذه كلها إليه: الريش، الدم، اللحم، العظم، وكل هذه كل جزء رجع إلى مكانه، الدم إلى مكانه، العظم إلى مكانه، الريش إلى مكانه، كل شيء إلى مكانه تركبت كل جزء في مكانه أمامه، يرى ذلك أمامه ثم جاءت وأصبحت سوية كما جاءت، وهو يرى ذلك عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فهذه خمسة براهين حسية على البعث في أمور مشاهدة معاينة، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة.

والسادس: إحياء عيسى للموتى في قوله: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٤٩]؛ فهذا أيضًا برهان من البراهين الحسية على البعث.

قال: (**وغيرها ممَّا أراهُ الله عبادهُ في هذه الدار؛ ليعلموا أنَّهُ قويٌ ذو اقتدار، وأنَّ العبادَ لا بدَّ أنْ يَرِدوا دارَ القرار، إمَّا الجنة أو النار. وهذه المعاني أبداها الله وأعادها في محالَّ كثيرة. والله أعلم**)؛ أكرر ما ذكرته سابقًا من النافع لنا ونحن نقرأ هذه القواعد أن نحرص على تدبرها في القرآن الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [سورة ص، من الآية:٢٩]؛ فنتدبر هذه الآيات من خلال القرآن؛ ليكون هذا أمكن لثبوت هذه الدلائل، وثبوت هذه الحجج، زادنا الله جميعًا علمًا وبصيرةٍ في دينه، وهدانا الله إليه جميعًا صراطًا مستقيمًا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على رسول الله.